مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: برهان الإنية من التوظيف الميتافيزيقي عند ابن سينا إلى الدلالة الواقعية عند مولود قاسم.
ص.ص 326 - 358.

برهان الإنية من التوظيف الميتافيزيقي عند ابن سينا إلى الدلالة الواقعية عند مولود قاسم

مراد واحك

خميس مليانة (الجزائر)، m.ouahek@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 14/ 07/ 2022 ؛ تاريخ القبول: 30/ 10/ 2022

The proof of identity from the metaphysical employment of Ibn Sina to the realist significance of Mouloud Qasim

Abstract:

This research aims to know Mouloud Kassem's use of Avicenna's philosophical concept in proving the contemporary Algerian personality. For this, we used the analytical and comparative method. The following results were reached: Ibn Sina used proof of self-proof in a metaphysical way, while Mouloud Qassem applied Ibn Sina's proof to the Algerian reality. Mouloud Kassem attempted to create an intellectual continuity between Islamic philosophy and contemporary Islamic thought. Mouloud Kassem aims his idea to integrate the components of the Algerian personality through Islam. The renaissance in the future will only be through preserving the foundations of identity and its openness to modern sciences. In light of these findings, the study suggests reconnecting with Islamic philosophy by reviving some forgotten concepts as contemporary Western thought does with its Greek heritage.

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 2 ديسمبر 2022
العنوان: برهان الإنية من التوظيف الميتافيزيقي عند ابن سينا إلى الدلالة الواقعية عند مولود قاسم.
ص.ص 326 - 358.

Keywords: Identity; authenticity; language; personality; Islam.

الملخص:

يهدف هذا البحث الى معرفة كيفية توظيف مولود قاسم لمفهوم فلسفي لابن سينا، في اثبات الشخصية الجزائرية المعاصرة. ولأجل هذا، استخدمنا المنهج التحليلي والمقارن. وقد تم التوصل الى النتائج التالية: وظف ابن سينا مفهوم الإنية على نحو ميتافيزيقي أمّا مولود قاسم فطبق مفهوم الإنية على الواقع الجزائري. حاول مولود قاسم أنّ يخلق تواصلية فكرية بين الفلسفة الإسلامية والفكر الإسلامي المعاصر. بحث مولود قاسم في فكره، أنْ يصهر مكونات الشخصية الجزائرية بواسطة الإسلام. والنهضة في نظرة لا تكون إلا من خلال حفاظ الذات على مقوماتها وانفتاحها على العلوم الحديثة وفي ضوء هذه النتائج تقترح الدراسة إعادة الوصل مع الفلسفة الإسلامية من خلال إحياء بعض المفاهيم المنسية، كما يفعل الفكر الغربي المعاصر مع تراثه اليوناني.

الكلمات المفتاحية: الإنية؛ الأصالة؛ اللغة؛ الشخصية؛ الإسلام.

مقدمة:

لا شك أنّ الفكر الجزائري هو حلقة من حلقات الفكر العربي والإسلامي المعاصر، يشارك في علاج أهم القضايا الفكرية للأمّة الاسلامية، وهو يتحرّك في إطار العقل الإسلامي الذي يفكر بواسطة آليات ومفاهيم معينة. من هذه المفاهيم التي فكّر بها فلاسفة الإسلام: مفهوم الإنية، This-ness. وهو مفهوم أُجترح في الفلسفة العربية، ليعبّر

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 2 ديسمبر 2022
العنوان: برهان الإنية من التوظيف الميتافيزيقي عند ابن سينا إلى الدلالة الواقعية عند مولود قاسم.
ص.ص 326 - 358.

عن الوجود الواضح، والمتمايز للذات. والبعض يردُّه إلى اللغة اليونانية. وسواء كان أصل هذا المفهوم، عربيا، أو يونانيا، فإنّ ما يهم هو وظيفته المعرفية التي وُظّف بها، عند هذا الفيلسوف أو ذاك. وقد أُستعيد مفهوم الإنية من جديد، في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، لِيُعاد بعثه من جديد، ولكن هذه المرّة، ستعاد إليه حيوية معرفية، تُعبّر عن الواقع الإسلامي المعاصر. ومن المفكرين الذين حاولوا بعث هذا المفهوم من جديد، مولود قاسم نايث بلقاسم. سيحمل هذا المفهوم عند مولود بلقاسم، حمولة دلالية جديدة وخاصة وأنّه يأتي ضمن إعادة بعث وبناء الهوية الوطنية بعد الاستقلال، ولردِّ أطروحات الدراسات التاريخية التشكيكية الفرنسية، التي حاولت أنْ تهدم أيْ تصور لوجود الإنية الجزائرية، في بعدها: العربي، والإسلامي ذات الجذور الأمازيغية. سينقل مولود قاسم الإنية من إطارها الميتافيزيقي المجرّد، إلى سياق واقعي جزائري. ولعل هذا التوظيف للمفهوم، يحافظ على خطية الاستمرارية التاريخية بين الفلسفة الإسلامية في عصرها الذهبي، والفكر الإسلامي المعاصر. كما يرد على الفكر الأنثروبولوجي والتاريخي الفرنسي الذي حاول أنْ يصنع إنية مضطربة للجزائريين. والسؤال الذي يطرح هو: كيف ينقل مولود قاسم مفهوم الإنية، من إطارها الميتافيزيقي، لتعبّر عن الواقع الجزائر المعاصر؟ وكيف يملأ مضمون هذه الإنية.؟ وما هي الإنية الأصيلة عند مولود قاسم؟ للإجابة عن هذه الأسئلة: لم نحاول استنطاق النصوص، وفرض تأويلات إلى اتجاهات لم تقلها، أو لا تحتملها. بل

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 2 ديسمبر 2022
العنوان: برهان الإنية من التوظيف الميتافيزيقي عند ابن سينا إلى الدلالة الواقعية عند مولود قاسم.
ص.ص 326 - 358.

تركنا في الكثير من المرّات، الفيلسوف هو الذي يتكلّم. بسبب: أنّ نصوصه واضحة، سهلة، لا تحتمل شرحا على شرح. وأيضا بسبب: أنّ طبيعة موضوعنا تفرض علينا اختيار بعض الفقرات الطويلة من كتبه. ومن أهداف البحث، أنْ نبين كيف ساهم مولود قاسم في ربط جذور التواصل في تاريخنا الفلسفي، من خلال إعادة بعث مفاهيم الفلسفة الإسلامية في فكرنا العربي والإسلامي المعاصر.

جذر المفهومي لمصطلح الإنية:

تظهر الروح الابداعية لدى مولود قاسم، في قدرته على اجتراح مفهوم فلسفي، لكي يُعبِّر عن مشروعه النهضوي في الجزائر، وفي العالم الإسلامي. وتمثّل ذلك في استعادة برهان إثبات الإنية من فلسفة ابن سينا، وحاول تطويره، وتطعيمه بما يتناسب مع الحاجيات الفكرية، والفلسفية للواقع الجزائري، والاسلامي المعاصر. إذْ سيصبح المفهوم الفلسفي حيا، بما يُضاف له من مضامين جديدة، لكي يُعبّر عن واقع الأمّة، مُساهما في خلق نقاش فلسفي داخلي فيها ، ولمّا يُؤخذ مفهوم ما، من إطاره الفلسفي الأصلي، الذي يكون قد تجاوزه الزمن، ويُعاد بعثه من جديد بمضامين جديدة، فإنّ هذا يعني: خلق تواصلية، واستمرارية مع الذات الحضارية العربية الإسلامية، سواء على مستوى الاستمرارية الفكرية من خلال ربط خيوط التواصل بين فلسفة الامس بفلسفة اليوم، ببعث بعض المفاهيم التي يمكن أنْ تستوعب أسئلة

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

الحاضر، أو على صعيد الاحتفاء باللغة العربية، بقدرتها على استيعاب ما هو معاصر وراهني.

مِنْ هذه المفاهيم: نجد مفهوم الإنية حيث يعرّفها بقوله: ﴿ ذلك الوعي الحاد بالذاتية والشخصية﴾ (مولود قاسم، 2013: 103)، أمّا جذورها الفلسفية ف ﴿ هي تلك الانية التي يتكلم عنها ابن سينا، والتي تتلخص في أنّه كان قد تصور نفسه معلقا بين السماء والأرض. وأنّ جسمه قد انتزع منه وفي حكم العدم، ولم يبق له في تلك اللحظة، وهو بين عالمين، إلا ذلك الوعي الحاد بوجوده، وشعوره بذاته المتميزة القائمة بذاتها، المستقلة عن غيرها﴾ (مولود قاسم، 2013: 104)

من جهتنا سنعود إلى الوراء، ونستعيد ذلك الاثبات للإنية الذي ذكره ابن سينا في كتابة الشفاء. هذه المرّة سندع ابن سينا هو الذي يتكلم، يقول: ﴿ يجب أنْ يتوهم الواحد منا كان خُلق دفعة واحدة، وخُلق كاملا. لكنه حجب بصره من رؤية عن مشاهدة الخارجيات. وخلق يهوى في هواء، أو خلاء هويا، لا يصدمه فيه قوام الهواء صدما، ما يحوج إلى أنْ يحس. وفرّق بين أعضائه فلم تتلاقى ولم تتماس. ثم يتأمل أنّه هل يثبت ذاته؟ ولا يشك في اثباته لذاته موجودا، ولا يثبت مع ذلك طرفا من أعضائه، ولا باطنا من احشائه، ولا قلبا ولا دماغا، ولا شيا من الأشياء من خارج. بل كان يثبت ذاته، ولا يثبت لها طولا، ولا عرضا، ولا عمقا. ولو أنّه امكنه في تلك الحالة أنْ يتخيل يدا، أو عضوا آخر لم يتخيله جزء من ذاته، ولا شرطا في ذاته. وانت تعلم أنّ

المثبت غير الذي لم يثبت، والمقر به غير الذي لم يقر به. فإذن للذات التي أثبت وجودها خاصية، على أنّها هو بعينه غير جسمه، وأعضائه التي لم تثبت. فإذن المثبت له سبيل إلى أنْ يثبته على وجود النفس شيئا غير الجسم. بل غير جسم، وأنّه عارف به مستشعر له، وإنْ كان ذاهلا عنه يحتاج الى أنْ يقرع عصاه﴾ (ابن سينا، 1988: 18، 19).

وبتعبيرنا المعاصر، يدعونا ابن سينا إلى أنْ يتخيل الواحد منا: أنّه وُجد دفعة واحدة في الهواء، حيث لا يصطدم جسمه بأي شيء، ولا يشعر بتأثير تيار الهواء عليه، وأنّ أطراف جسمه لا يمكن أن تتلاقى. فالذات هنا يمكن أنْ تشعر بذاتها، وبوجودها دون حاجة إثبات الوجود من خلال الجسم. الإنية عند ابن سينا لها إثبات وجودها على نحو واضح، وبيِّن بعيدا عن المادة الجسمية. ويجب أنْ نشير أنّ مصطلح الإنية ليس من ابداع ابن سينا بل هناك من الأراء التي ترجع مصطلح الإنية inniyah بذات صلة بالأصل اليوناني Eina، وهي ثبوت الوجود ودوامه وتميزه، وقد عرفها الشريف الجرجاني ب: «تحقق الوجود العيني من حيث رتبته الذاتية﴾ (بكري، علاء الدين، الموسوعة العربية)

وقد جاء في معجم جميل صليبا قوله: ﴿ إنّ بالكسر والتشديد، حرف توكيد، تنصب الاسم وترفع الخبر، نحو: إنّ الله على كل شيء قدير، وهي تفيد القوّة في الوجود، وقد أطلق الفلاسفة لفظ إنّ على توكيد الوجود، فقال ابن سينا: تكون الصفة الأولى لواجب الوجود

أنّه: إنّ، وموجود. وقوله: ﴿إنّ﴾ لا يفيد مجرّد الوجود بل يفيد تحقق الوجود، وتوكيد الوجود﴾ (جميل صليبا،1982: 137)

ويقتضي الأمر هنا التفريق بين استخدامين مختلفين لهذه الكلمة: الأول وهو ما تواضع عليه المتصوفة نسبة إلى «الأنا» ويرسم بفتح الهمزة: «الأنية»، وقد تكون النسبة إلى الأنا: «الأنانية» أو «الأنائية». أما الاستخدام الثاني فهو ما دُرج على عدّه ترجمة لمصطلح من مصطلحات أرسطو وأتباعه في الفلسفة اليونانية التي نقلت إلى العربية في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي، فالكلمة إذن تسمية غير عربية الأصل بل تعد في الكلمات المولدة أو المحدثة.﴾ (بكري، الإنية، الموسوعة العربية) ﴿وجملة القول إنّ الإنية Eccéité هي تحقق الوجود العيني ومعناها قريب من معنى الهوية، لأنّ الهوية هي التشخص، أو الوجود الخارجي﴾(جميل صليبا، 1982: 171)

ينقل مولود قاسم برهان إثبات الانية لابن سينا من اطاره الميتافيزيقي، إلى إطار جديد وهو حقل الفكر الاسلامي المعاصر، الذي تشغله اشكاليات جديدة خاصة بالواقع الاسلامي الجديد الذي يعرف مشكلات راهنة. واذا كان ابن سينا قد توصل من خلال برهان الرجل الطائر في الفضاء، إلى إثبات وجود النفس، فإنّ مولود قاسم يستعيد البرهان على نحو جديد، ويملؤه بمضامين جديدة، مضمون وجود الشخصية العربية والاسلامية للشعب الجزائري. يقول:﴿ لقد كنّا في العهد الاستعماري معلقين في الهواء بين عالمين، منزوعة عنا جنسيتنا

الجزائرية، وغير معترف بنا، ولا معاملين كفرنسيين ومع ذلك كنا كأكثر ما نكون اعتزازا بذاتيتنا، وتعلقا بمقومات شخصيتنا من دين ولغة وتقاليد ، ...ولقد كنا نقاوم جميع الامراض الاجتماعية، والآفات المستوردة إلينا، الغريبة عنا. وكان ذلك بدافع من الذود عن هذه الانية وتلك الاصالة، رافضين كل ما يفصلنا عن محيطنا الطبيعي، ولجميع مظاهر الادماج والمسخ وسائر محاولات الاذابة والسلخ﴾ (مولود قاسم، 2013: 104). فكما أنّ الغرب واليابان والصين وجميع الامم تعتز بتاريخها، وبأجدادها الذين كانوا من المؤسسين لثقافتها ولهويتها. فكذلك الامر عندما يتعلق بنا نحن العرب والمسلمين، علينا أنْ نعتز ونفتخر بماضينا، فليست المعاصرة ترك الماضي خلفنا، بل على العكس من ذلك: يجب أنْ تكون لنا ذاتيتنا وأصالتنا لأنّ﴾ تلك الاوصال التي تربطك بالأسلاف وتضرب بجذورها في اعماق التاريخ هي مكونات الشخصية وعناصر الذاتية وهي الانية والاصالة﴾ (مولود قاسم، 2013: 62).

نلاحظ أنّ الإنية عند ابن سينا، تُثبت من خلال: تخيل وجود ذات، منفصلة عن الجسم، حتى تتجوهر حول ذاتها، في الفضاء الخالي من أي هواء. الذات هذه فارغة من أي محتوى ومضمون، إلا بالشعور الذي يُشعرها بذاتها، وبوُجودها. إنّها ذات ميتافيزيقية. بينما الإنية عند مولود قاسم تُثبتْ بمقوماتها الحضارية الأصيلة التي تملؤها. نعم، كلا من

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

الانيتين موجودتين، الواحدة بتفكرها لذاتها، عن طريق تخيلها بانفصالها عن الجسم، والأخرى من خلال انفصالها عن الاستعمار الفرنسي

مقومات الانية عند مولود قاسم نايت بلقاسم:

إنّ الانية أو الوعي بالذات لا يقوم إلا بوعي بشيء ما، وإذا كان ديكارت قد بنى إثباته لذاته من خلال شعوره، بأنّه موجود وأنه لا يمكن أن ينفي هذا التفكير (رينيه ديكارت، 1968: 83)، فقد كان ابن سينا من قبل، قد أثبت وجوده من خلال وعي النفس بوجودها، من خلال فرضية: الرجل الطائر الذي لا يلامس الهواء، بعيدا عن هويته الجسدية.

ولكن إنّ الوعي بالذات عند مولود قاسم ليس وعيا بسيطا، كالذي نجده عند ابن سينا أو عند ديكارت، لأنّ إثبات الوجود الإنية عندهما، يمر عبر حدس حضورها. منفصلة عن الجسم كما رأينا مع ابن سينا، أو عدم قدرة نفي التفكير كما هو الامر مع ديكارت. بينما نجد مولود قاسم يثبت وجود الإنية بوعي وجود مكونات الذاتية مجتمعة، فالوعي بوجود الذات ليس وعيا بسيطا بل وعي ممتلئ بعناصر الشخصية، أمّا عناصر هذه الشخصية ﴿ فهي: اللغة، والدين، والتاريخ، وحب الوطن، والثقافة المتأصلة، والتقاليد، وذكريات الاجداد التي يخلدها التاريخ الضارب بجذوره في أعماق الدهر﴾ (مولود قاسم، 2013: 66)

عناصر هذه الذاتية متداخلة، ومترابطة، ومتراكبة مع بعضها، فإذا اهتز أي عنصر من عناصرها، يحدث خلل في المجموعة المكونة لعناصر الإنية أو الذاتية ﴾ فإذا لم تأخذك تلك القشعريرة الرهيبة عند مغادرة وطنك لمدة، مختارا، وخاصة مضطرا، وإذا لم تساورك عيناك بذرف قطيرات من ماء الحياة أو الموت : دموع التأثر حسب المناسبة، عند المغادرة، أو العودة ، أو اثناء الغربة ، من فرح أو ترح، كمثل تلك القشعريرة التي أخذت الرسول صلى الله عليه وسلم عند مغادرة مكة مهاجرا ، أي مضطرا، وإذا لم تضطرب وأنت في الغربة عند العثور على صوت بلدك في الاذاعة أو سماع لغتك في شارع أو رؤية اسمه في جريدة أو كتاب فأنت ليست فيك إذن قطرة من حب الوطن، ولا من وطنية وليست فيك أدنى رائحة ولا أريحية إنسانية. وانما تعيش كأبهم حيوان بل أنت اضل﴾ (مولود قاسم، 2013: 68)

إنّ ارتباط عناصر الإنية ببعضها هو ارتباط متين، كارتباط الجسم والروح. وكل عنصر من عناصر الذاتية يمنح الإنية ميزتها وفرادتها التي يُتعرّف عليها من الآخر ﴾ فالأمم اذن، بشخصيتها وبأصاليتها التي هي ضمان هذه الاصالة، والشعور بنفسها، والاعتزاز بقيمها، والتمسك بما يميزها عن غيرها مع الاستفادة من تجارب الجميع﴾ (مولود قاسم، 2013: 71)

أما تنازل الفرد أو الامة عن عنصر، أو عناصر من إنيتها فيسميه مولود قاسم: بالانفصالية التي هي: انفصال الذات عن مقوماتها،

واكتساب مقومات الآخر من خلال المطابقة معه لأنّه ب «مجرد التهاون في التشبث بهذا كله، لهو ذوبان الشخصية وانعدام الاصالة، بل وأكثر من هذا كله: إنّ هذا كله، لهو موت الأنا فضلا عن الإنية. فهو انفصام الشخصية وأنّه لهو انفصال عن الذات، لهو استئصال النفس، لهو الانفصالية» (مولود قاسم، 2013 :72)

سؤال النهضة عند مولود قاسم:

لقد شغل مولود قاسم سؤال النهضة الجزائرية، منذ نهاية الاربعينيات إلى عقد الثمانينات، وهو سؤال يتكرر كثيرا في جميع مداخلاته وكتاباته. هذا السؤال جاء في مقدمة كتابه انية وأصاله بقوله: كيف نكون ابناء عصرنا، مع البقاء على أديم مصرنا، ودون أنْ نصبح نسخة غيرنا (مولود قاسم، 2013: 09)

فليست الاصالة هي الانغلاق على الذات والتشبث بها، والتقوقع حولها. بل هي بالعكس: بقاء الانسان هو، هو. مع الاستفادة مع احتكاكه بالغير، ومسايرته الركب الانساني فيما ينسجم مع عناصر ذاتيته، ويتناغم مع مكونات شخصيته (مولود قاسم، 2013: 10). فالذوبان في الغير لا يُغني الحضارة العالمية في شيء، بل إنّ التميز في المشاركة، هو الذي يصنع الحضارة، فالاختلاف والتنوع هو الذي يصنع التقدم » وكذلك شعوب الاسرة البشرية فبقدر تمايزها عن بعضها في شخصيتها الثقافية، وفي ابداعها الفني، وفي انتاجها الزراعي،

ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية

مجلد: 13 عدد 2 ديسمبر 2022

العنوان: برهان الإنية من التوظيف الميتافيزيقي عند ابن سينا إلى الدلالة الواقعية عند مولود قاسم.

ص.ص 326 - 358.

أو الصناعي يكون ثراء الانسانية ككل، وتكامل جهودها، والفائدة العائدة عليها في مجموعها من مجموعها﴾ (مولود قاسم، 2013: 11)

إنّ الذات عندما تتماهي في الآخر، وتتطابق معه تخسر ذاتيتها، وهي بهذا ليست إلا نسخة مكررة منه، إنّها بذلك لا تعطي شيئا للعالم. فالأصالة في الحضارة هي أن تنتج الذات شيئا يخصُّها، لأنّه نابع منها، ومن خصوصيتها. من هذا، تمنح للعالم شيئا جديد ﴿ فبقدر بروز إنيتنا، وقوة أصالتنا إذن، تكون لنا شخصيتنا بين الامم في المجال الدولي، وتبرز مساهمتنا في المجهود البشري العام﴾ (مولود قاسم، 2013: 11)

يعطي مولود قاسم لمفهوم الاصالة دلالات جديدة فهي فيما تعنيه: المحافظة على مقومات الذات، الاصالة الإبداعية، تميّز الذات عن غيرها «فالأصالة ليست الجمود في المكان والخمود في الزمان، والتقوقع حول النفس والانغلاق عن الغير، والتوقف عن السير والتخلف عن الركب العالمي، بل هي الزحف الى الأمام، والبروز الى فوق، والضرب بالمنكبين، ورفع الراية عالية عن الوجود المتميز المزاحم﴾ (مولود قاسم، 2013: 12)

حتى تكون الإنية ذات أصالة لا يعني البتة: الإكتفاء بالتمسك بمقومات الذات، بل تتضمن دلالة الابداع والحداثة، والعمل المتواصل والمستمر، أو بعبارة أخرى: إنها الأنا المبدعة المزاحمة للوجود العالمي، من خلال أعمال الذات التي تظهر في العالم. كما أنّ كل حداثة

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 2 ديسمبر 2022
العنوان: برهان الإنية من التوظيف الميتافيزيقي عند ابن سينا إلى الدلالة الواقعية عند مولود قاسم.
ص.ص 326 - 358.

ومعاصرة غير مبنية على مقوّمات الذات، هي مجرّد حداثة وهمية، مقطوعة الجذور.

مولود قاسم يتموقع بين تيارين: أحدهما يرى أنّ كل تجديد وتحديث هو خروج عن الإسلام، والثاني يرى كل ﴿ رجوع الى الاصل رجعية ويودون لنا الانسلاخ فالإمساخ﴾ (نايث بلقاسم، 2013، صفحة 13). فالدخول إلى المعاصرة على أسس متينة عند مولود قاسم لا يكون إلا بأصل، نعود إليه. نتعرف فيه على أنفسنا، وهو تاريخ الامة الذي يجب أن نفتخر به ﴿ فالأمم بأصلها، وأصالتها وأنه لا ينكر أصله وأصالته إلا من لا أصل له ولا أصالة﴾ (مولود قاسم، 2013: 14)

إعادة استرجاع الثقة في مقوّمات الإنية:

لغة الانية: من أجل إظهار الإنية الجزائرية على مسرح التاريخ المعاصر، يدعو مولود بلقاسم إلى إعادة الاعتبار للغة العربية، وينتقد هؤلاء الذين ينقصون من قيمة العربية، وذلك راجع حسب اعتقاده، إلى تشبع أرواحهم بالثقافة واللغة الفرنسية، وبالتالي كان حكمهم على اللغة العربية ﴿ أحد اشكال المسخ لا الروحي فحسب، بل والمنطقي العقلي أيضا، إذ أنّ كلام شخص عن موضوع يجهله يسمى لدى العرب: جهلا مركبا، وفي الغرب ادِّعاء. فهؤلاء انصاف مثقفين أسميهم: يتامى الثقافة. فهم لا شرقيون، ولا غربيون، ولا جامعون بين فضائل هؤلاء وأولئك، وإنّما مذبذبون ممسوخون تجب علينا معالجتهم﴾(مولود قاسم، 2013: 21). فالذين يدّعون بأنّ العربية هي

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية

مجلد: 13 عدد 2 ديسمبر 2022

ص.ص 326 - 358.

العنوان: برهان الإنية من التوظيف الميتافيزيقي عند ابن سينا إلى الدلالة الواقعية عند مولود قاسم.

لغة متأخرة وليست لغة علمية، هم مخطئون ف﴿ ليست اللغة هي المتأخرة، وانّما المتكلمون بها. فاللغة مرآة المتكلّم والذنب ليس ذنب اللغة﴾(مولود قاسم، 2013: 49). فاللغة هي حالة لاحقة لوضعية المتكلّم، وهي إذْ تأخذ هذا الشكل أو ذاك، انطلاقا من حالة الامة الحضارية، فليست اللغة هي التي تمنع الامة من التقدم، بل إنّ الامة بتخلفها الحضاري، تتخلف معها لغتها، فاللغة في النهاية هي نتاج وضعية الأمة.

وانطلاقا من تأثره بالفيلسوف الألماني: يوهان غوتليب فيخته 1762-1814 (Johann Gottlieb Fichte) حول اهمية اللغة في تمثيل هوية الامة وكأحد البراهين الواضحة على وجود الإنية، يرفض مولود قاسم أي تنازل عن اللغة، لصالح لغة أخرى بدواعي واهية كدعوة:﴿ استبدال الحروف اللاتينية بالعربية، أي ترك العربية لفائدة اللاتينية ... بدعوى التبسيط والتسهيل ...والدعوة إلى اللغة العامية أي اللهجة المحلية لكل قطر من الاقطار العربية﴾ (مولود قاسم، 2013: 60)

الانية والدين: يعتبر مولود قاسم من المدافعين عن الدين الإسلامي، باعتباره من مكونات الانية الجزائرية، وكأحد أركان وعيها بذاتها، ويرفض وينتقد جميع الدعوات التي تنتقص من قيمته وأنّه سبب التخلف، أو كونه غير مناسب لبناء الدولة. ويرد عليهم بقوله:﴿ ولجميعهم نود أنْ نقول: أنّ الاسلام دين ودولة، وأنّه بصفته دينا

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

سماويا كاملا-والدين عند الله الاسلام – فهو فياض بالروحيات، والاخلاقيات، والمعنويات عامة، كما أنّه دين العمل والجهد، ودين القوة والجهاد، وليس دين الاستكانة والمهانة، وقبول الجور والاذلال، بل هو دين العدالة والانصاف، ودين العزة والانفة والشرف، ودين التساوي في الفرص والامكانيات بالنسبة للجميع ...فالاسلام ليس دين الفقر، والضعف والحاجة، بل هو دين القوة والازدهار﴾ (مولود قاسم، 2013: 112، 113). بهذا الخطاب الذي يؤسس الثقة في الذات وفي مقوماتها، يحاول مولود قاسم أنْ يخلق وعيا لدى الوعي الإسلامي، بمدى جدارة الإنية في قدرتها على الدخول في الحداثة المعاصرة، ذلك أنّها تمتلك مكونات تجعلها قادرة على الابداع والانتاج، ولكن هذا لا يتم الا باستبعاد خطابات تنقص من أهلية الانية في صناعة الحداثة، وإذا كانت الإنية بهذه اللغة وبهذا الذين، فلسنا بحاجة إلى الانسلاخ عنهما للذوبان في الآخر، كما أنّ الاخر لم يفعل شيئا سوى أنّه فعّل مقومات شخصيته.

الإنية والتقاليد: من مكونات الإنية عند مولود قاسم: التقاليد والاعراف الاجتماعية للمجتمع الجزائري، فالمجتمع الذي يدع تقاليده واعرافه متبعا في ذلك مجتمعات غربية، هو مجتمع في طور الانحلال والاضمحلال. لهذا لم يغفل مولود قاسم عن تحليل الظواهر الاجتماعية التي استجدّت في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، والحديث عنها بالتفصيل كظاهرة شرب الخمور، وظاهرة تعري النساء.

يقول في هذا:﴿ وإذا كانت تقاليدنا المحترمة، تقاليد الحياء والحشمة، ما كان ينبغي أن تسمح لأية امرأة أو بنت تتمتع بجميع مداركها العقلية أنْ تعرض نفسها نصف عارية أمام والديها وإخوتها. فكيف حدث أنّ افراد الاسرة يقبلون بمثل هذه المشاهد الشنيعة؟ ﴾ (مولود قاسم، 2013: 133).

لا شك أنّ فكر مولود قاسم هو فكر واقعي، يلامس تغيرات الواقع التي يلاحظها، وهذا الذي يدخل في معنى: المثقف الملتزم بقضايا أمته، ويحللها من منطلق أدواته الفكرية والفلسفية. محاولا تأسيس الفكرة الاصلاحية التي تقوم على الالتزام بمقومات الانية، لهذا نراه يرد، على كل من يرى أنّ علاج مثل هذه القضايا هو تدني في المستوى بقوله:﴿ وإنّنا لن نتردد في أنْ نكرر ما قد يراه البعض سخافة، ونرى نحن أنّه من الاهمية بمكان، وبالتالي سوف لا نمل من التذكير به، وهو أنّ الوازع الاخلاقي لكل أمّة هو ذخيرتها الرئيسية، ورأسمالها الاول ...وسوف لن يُفيدنا في شيء، أنْ نُضاعف من إنشاء مركبات مثل مركب الحجار إذا لم تدعم في الوقت نفسه، الحياة الاجتماعية بإسمنت روحي أخلاقي. لأنّ الازدهار المادي بدون روح سوف لن يجعل منا ومن أي مجتمع آخر إلا عملاقا برجلين من خزف﴾ (مولود قاسم، 2013: 135)

الانية والتاريخ: في نظر مولود قاسم لا بد من الاهتمام بالتاريخ الجزائري والاعتزاز به، بل والارتباط به أشد الارتباط لأنّه مقوِّم من

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

مقومات الانية، ووجه من وجوه أصالتنا. ذلك أن من مبررات فرنسا في احتلال الجزائر، نشر فكرة أنّ الجزائر ليس لها تاريخ، وليست في النهاية إلا أرض رومانية، تستعيدها فرنسا للمرة الثانية. يتساءل مولود قاسم: ﴿ لماذا نهتم بالتاريخ القديم؟ ونرجع الى الماضي السحيق؟ فنقول: لا بدّ أنْ نهتم به، أوّلا لأنّ الاستعمار قد ادّعى منذ مدة طويلة، بأنّه جاء ليسترد الإرث. لأنّ فرنسا عندما احتلت بلادنا اتت لتأخذ الارث، الميراث الذي ضيّعته روما، فرنسا جاءت فقط لتسترجع هذا الإرث، لماذا؟ لأنّ كل ما جرى منذ انتهاء الاستعمار الروماني حتى الغزو الفرنسي لم يكن في نظرهم إلا ظلما وعدوانا أمّا الوضع الشرعي في نظرهم فهو دور فرنسا هنا، لأنها جاءت لتستأنف إرث أمّها روما﴾ (مولود قاسم، 2013: 508، 509). فالتاريخ هو الذي يعبر عن أصالة الامة، وعن قدمها في التاريخ، أمّا عدم الاعتراف بتاريخ الامة القديم، فهو موافقة للأطروحات الاستعمارية، باعتبار الجزائر كانت أرض رومانية. فالمصالحة مع التاريخ الامازيغي قبل الإسلام، هو مصالحة مع الذات بل يعزز من مفهوم الإنية وتمايزها، باعتبار أنّ لهذا الوطن تاريخ مستقل ومتمايز عن روما. وفي هذا ينظر مولود قاسم الى تاريخ الجزائر القديم باعتباره﴾ ثورات متسلسلة، ثورات متواصلة، مقاومة عنيفة، عنيدة، حتى آخر رمق بالنسبة للرومان والوندال والبيزنطيين، حتى جاء الفتح الاسلامي، جاء بآراء جديدة، وبوجهة جديدة، تمازج الشعب الموجود هنا مع العنصر الفاتح

لأنّ هناك اشياء مشتركة والرأي الذي اتوا به والسلوك الذي كانوا يسلكونه والطبيعة الشرقية المشتركة...فهذه الاشياء كلها لعبت دورا في التماسك. وهذا الذي كوّن الوحدة في هذا الشعب وهذا الذي خلق المنطلق لهذه الحضارة التي كانت من أمجد الحضارات وأغناها فيما بعد» (مولود قاسم، 2013: 510). وبعد الفتح الاسلامي صارت الجزائر تنتمي الى الحضارة الإسلامية، وقد اغنت الفكر والحضارة العالمية بكثير من الاختراعات والابداعات « ويكفي أنْ نذكر من بين علماء النحو، أنّ الجزائر اعطت علماء مثل ابن اجروم من قرومة الاخضرية – وابن معطي من جبال عزازقة بولاية تيزي وزو الذي ألف أوّل ألفية أشاد بها ابن مالك الاندلسي في بداية ألفيته كما نعلم، وكذلك الاخضري في القرن التاسع، وهو من قسنطينة. كان كتابه في العلوم الطبيعية يدرس بجامعة مونبوليي حتى القرن السابع عشر. وهناك ايضا ابو حمزة الجزائري في القرن السادس عشر، كان له كتاب في الجبر والمقابلة والمثلثات، وهذا الكتاب طبع في تركيا، وترجم وكان منطلقا من منطلقات النهضة الحديثة في أوروبا، بالنسبة للجبر...ويكفي أنْ نذكر أنّ الارقام العربية أخذوها عن الجزائر...» (مولود قاسم، 2013: 212،513، 514). إلى ما هنالك من الانجازات الحضارية التي لا يمكن انكارها، فالاعتزاز بالماضي يعيد الثقة في الانية من أجل أنْ تدخل في العالمية، وتفرض وجودها كما فرضته بالأمس، فليست إذن المعرفة بتاريخنا لأجل متعة الاكتشاف بل

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 2 ديسمبر 2022
العنوان: برهان الإنية من التوظيف الميتافيزيقي عند ابن سينا إلى الدلالة الواقعية عند مولود قاسم.
ص.ص 326 - 358.

من أجل اعادة بعث الثقة في الهوية الحضارية التي عمل الاستعمار على اضعافها، وتشتيت انتباهنا في اصالتنا.

الاسس التقدمية في الاسلام عند مولود قاسم:

ينتقد مولود قاسم تلك التيارات التي ترى في الدين عائقا أمام تقدّم المسلمين، لأنّهم في رأيه: يسايرون الاطروحات الأوروبية التي رأت في المسيحية عائقا أمام نهضة العقل. فمن المعلوم أنّ تقدم أوروبا في العصر الحديث، ارتبط بفصل شؤون الحياة عن الدين، من أجل أنْ يُترك للعقل كامل حريته في التفكير في شؤون البشر أي تأسيس للعلمانية التي هي ﴿مشروع أنتجته المجتمعات الغربية على مدار قرون جهادها مع الأفكار الثيوقراطيّة التي كانت تكبّلها، وبواسطتها انتقل المجتمع الغربي إلى التقدم والحداثة﴾ (الحاجي، 2014) يرفض مولود قاسم هذه المقايسة بين الاسلام والمسيحية، ويرى أنّ الاسلام يرتكز على أسس تقدمية ومن أبرز هذه الاسس:

الاسلام ثورة على التقليد والتبعية العمياء: يعتقد مولود قاسم أنّه إذا كانت أوروبا تقدّمت لأنّها تحرّرت من التبعية، والتقليد الأعمى لرجال الدين، والكنيسة، إلّا أنّ الإسلام هو ثورة في ذاته، ﴿ ثورة على الجمود، والرّكود، وعلى التقليد، والتبعية العمياء، وكم نعى في آيات متعدِّدة على الذين كانوا يقولون:﴿ إنّا وجدنا أباءنا على أمّة وإنّا على أثارهم مهتدون، أولو كان أباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ ...وذلك أنّ الاسلام دين النظر، والرّوية وإنّ الآيات التي تدعو الى

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

استعمال العقل تتجاوز الخمسين، والتي تدعو إلى السير في الارض للنظر، وإلى التذكر، والتفكر لا تكاد تحصى﴾ (مولود قاسم، 2013: 212)

الاسلام والدعوة إلى تقديس العمل: إذا كانت العقيدة المسيحية، وبعض الطرق الصوفية، وبعض الفلسفات البشرية تحتقر العمل، وتنشر قيم الكسل، والتواكل، والزهد، والرهبنة، وتمجِّد الفقر على الغنى، نجد الاسلام عكس ذلك فهو ﴿ ثورة ضد الكسل، والسلبية والتواكل، والاعتماد على الغير، وضد البطالة التي في مفهومها الأصلي: الحياة عالة على الناس، والامساك عن العمل. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يُرى إلا مُشتغلا، ويقول:﴾ لأنْ يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل، فيأتي بحزمة من حطب على ظهره، فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير من أنْ يسال الناس، أعطوه أو منعوه... وفي القرآن ما يقرب من ستمائة آية تدعو إلى العمل، والفعل وتمجيدهما﴾ (مولود قاسم، 2013: 212،213)

الاسلام ضد التمييز العنصري والديني والطبقي: يرى مولود قاسم أنّه إذا كانت أوروبا اليوم، تُفاخر بأنّها بلاد حقوق الانسان، والمساواة بين البشر، وبلاد الديمقراطية ومع أنّ الواقع الفعلي لا يبرز ذلك الادّعاء، فإنّ الاسلام هو: ﴿ ثورة على الطبقية، والعصبية. إذْ الشرف هو شرف العمل فحسب، وحرب على سائر أنواع التمييز. سواء كان ذلك بسبب الدين، أو العنصر، أو الحسب.... وقاعدة التفاضل

الواحدة هي العمل الصالح، والسلوك الحسن.... ونكتفي بهذا الصدد بقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ يا معشر قريش، إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء: كُلّكم من آدم وآدم من تراب: ثم تلا هذه الآية: ﴿ يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (مولود قاسم، 2013: 213)

الاسلام وركيزة العدل والشورة: إنّ من أسباب تقدّم بعض الامم، احتكامها للعدل في الفصل بين القضايا المطروحة، واحتكامِها أيضا للشورى عندما تريد تنفيذ مشاريع، أو اصدار قرارات تهم الامة، وإذا كانت اوروبا تعرف العدل والديمقراطية في بلادها، من خلال فلسفات وضعية تحض على العدل، والمساواة، والحرية فإنّ الاسلام هو الآخر قد ركز على قضية العدل، وحارب الاستبداد﴾ من غطرسة الأباطرة، وعنجهية القياصرة، وغيرهم من رجال الحكم. إذْ حارب منذ البدء الجور، والطغيان، وكان حربا على التجبُّر، والتكبُّر، والاستبداد ووضع العدل، والمساواة حيث كان الجور، والمحاباة، وإنّ الآيات الواردة في ذلك لعديدة متنوعة: ﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾، ﴿وشاورهم في الامر﴾، ﴿وإذا حكمتم بين الناس أنْ تحكموا بالعدل.... ﴿يا أيّها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين إنْ يكن غنيا أو فقيرا فالله

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 2 ديسمبر 2022
العنوان: برهان الإنية من التوظيف الميتافيزيقي عند ابن سينا إلى الدلالة الواقعية عند مولود قاسم.
ص.ص 326 - 358.

أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى أنْ تعدلوا﴾ ﴿(مولود قاسم، 2013: 214،213)

الاسلام والتسامح الديني: لقد كانت أوروبا في العصر الحديث، مسرحا للحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت، والتي خلّفت ملايين القتلى، ف ﴿في عام 1618 وقعت سلسلة من الحروب الدينية بين المسيحيين الكاثوليك، والبروتستانت. بدأت شرارتها في ألمانيا، وامتدت بعد ذلك لتشمل مناطق واسعة من أوروبا، راح ضحيتها أكثر من 8 ملايين قتيل، وخلّفت وراءها دمارًا واسعًا في المدن والقلاع، وهي الحرب التي عُرفت فيما بعد بحرب الثلاثين عامًا، ووصفها المؤرخون بإحدى أطول وأعنف الصراعات في التاريخ البشري، وأكبر حرب دينية في تاريخ أوروبا، والتي كان لها أبلغ الأثر في تشكل أوروبا الحالية التي يراها البعض الآن باعتبارها مهد التسامح الديني والتنوع العرقي﴾ (السيد، 2018). بينما الاسلام تأسس كما يؤكد مولود بلقاسم على ﴿ التسامح المطلق إزاء الأديان، والطوائف، وذهب في ذلك إلى حدود لم تبلغها أيّة حضارة أُخرى، ولم يعمل بها أي دين آخر...والآيات الواردة في حرية العقيدة عديدة...مثل: ﴿ لا اكراه في الدين﴾، و﴿ لكم دينكم ولي دين﴾، ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (مولود قاسم، 2013: 218)

الاسلام وتوزيع الثروة: يعرف اقتصاد اليوم احتكارا للثروة، بيد فئة قليلة من الناس. وبهذا الاحتكار، يتحكّم هؤلاء القلة في مصائر الناس

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

والدول، من خلال نشر النزاعات والحروب، ويتحكمون أيضا في الثروة الغذائية وتجويع بعض البلدان والشعوب التي لا ترضخ لسياسات هؤلاء الملاك. بينما الاسلام عند مولود قاسم جاء ﴿ ثورة ضد الربا، وجميع صور تكديس الثروة في ايد قليلة تفرض حكمها وجبروتها. ففي سورة الحشر: وزّع المال على طوائف المسلمين، وفي صالحهم ...ثم علل ذلك بقوله تعالى:﴿ كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ أيْ متداولا بينهم، محتكرا عندهم دونكم، كما نراه اليوم مكدّسا في بنوك الدول الغنية، وسلطة قاهرة على رؤوس الضعفاء من الدول، والافراد. فالإسلام لم يجعل كل المال لصاحبه بل جعل فيه حقا معلوما واجبا ... لإطعام الجوعان، واكساء العريان، وسد كل حاجة معقولة، وهو واجب وليس منحة﴾. فقال:﴿ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ .... (مولود قاسم، 2013: 218،219)

الإنية الأصيلة والعالمية:

يرى مولود قاسم أنّ لكل أمة دورها في بناء الحضارة العالمية، وأنّ خصوصيتها وتميزها هو الذي يهم في بناء التنوع الحضاري العالمي. وهذا الذي يعني، أنّه على الإنية أنْ تأخذ موقفا تجاوزيا لكلا الفريقين اللذين لا يدركان حقيقة قيام النهضة. فالفريق الأول من فرط تمسكه بهويته وباسم المحافظة على التقاليد يدعوننا﴾ إلى عدم الاكتفاء بإقفال الابواب بل يطلبون منا ايضا سد النوافذ، حتى لا يتسرّب بصيص من نور أو نسمة من هواء، ونبقى في الظلمات ونتعرّض

للاختناق﴾ (مولود قاسم، 2013: 544). وهناك فريق آخر ﴿ يُلحّون علينا باسم التقدمية، والثورية، والتطور، والتمدن، وسعة الأفق، والتفتح، والعالمية داعين إيّانا إلى عدم الاكتفاء بفتح النوافذ واسعة، والابواب على مصاريعها، بل يصمّون أذاننا بالمناداة بضرورة نزع السقوف. وهم المغامرون، السطحيون، الممسوخون﴾ (مولود قاسم، 2013: 544، 545). والمقصود بهم التيارات الليبيرالية، والشيوعية المنتشرة في العالم العربي التي تدعو إلى التخلص من كل ما ينتمي الى التراث الإسلامي، وكل ما يتعلّق بخصوصيات هذه الأمة من دين، ولغة، وتقاليد، وأعراف.

يقف مولود قاسم بين الفريقين، بتركيبة فكرية تتمثل في أنّ تحقيق النهضة لا يتم من خلال التقوقع على الذات، وعدم رؤية العالم الخارجي وما يحدث فيه، من تغير، وتطور في جميع مجالات الحياة العلمية، والاقتصادية، والثقافية، ولا تقوم أيضا على تقويض دعائم الإنية من لغة، ودين، وتقاليد ذاتية من أجل التماهي مع الآخر، بل بحسب تعبيره:﴿ ندعو إلى فتح النوافذ، بل والابواب عند اللزوم، ولكن مع الاحتفاظ بالسقوف، والرفوف، ونقف بأقدام ثابته على أديمنا الراسخ، لنرنو، مطمئنين، واثقين بأنفسنا، إلى عوالم أخرى، نستقي من تجاربها الناجحة، ونتعظ بأخطائها. وهو ما يدعونا إليه الاسلام، وما نجح به السلف، أو لم يسيروا في الارض، افلا ينظرون؟﴾ (مولود قاسم، 2013: 544) ويقول في مكان آخر في هي

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

هذا المعنى:﴿ أمّا الاصالة هي شعور الانسان، أو اقتناعه العميق بانتسابه إلى مجموعة بشرية هي أمته، وإلى أديم: هي بلاده. وتشبعه بتصورات، ومفاهيم، وأفكار انحدرت إليه من الأسلاف في أعماق التاريخ ويبلّغها إلى الاجيال على مر الزمن. ويكون هو هو على مستواه...وهذه الأصالة إذْ تفرض على الانسان أنْ يكون هو هو، غير مجتث الأصول بل يضرب بجذوره في الأعماق، تستلزم في الوقت نفسه خلق سياج، والمشاركة في الوجود وأخذ حظه كاملا من الضوء، والاكسجين اللذين هما اكسير الحياة ، أيْ أنّه إذْ يبقى عالقا بأصله، محافظا على عناصر ذاتيته، ومكوّنات شخصيته، يواكب الوجود في الوقت ذاته ويساهم في المسيرة الإنسانية، ويتمثّل من الغير ما ينسجم وتكوينه، ليبقى عضوا من مجموعة، ومتميزا عنها معا﴾ (مولود قاسم، 2013: 91) وهذا معناه أنْ نبحث عن النهوض من خلال مقوّمات ذاتيتنا، والتفتح على جميع الحضارات العالمية، والاستفادة من ايجابياتها، ومن مكامن القوة التي فيها، مع تجنب الاخطاء التي وقعت فيها، وعدم احتذاء الطرق المسدودة التي أوقعتها في بعض الازمات الحضارية. فليس معنى التفتُّح أنْ نأخذ كل شيء من الغرب، بل ما يكون متفقا مع مقومات إنيتنا، ويتصالح مع هويتنا.

مولود قاسم وقضايا الحوار والمرأة:

الإنية والحوار: لقد كان مولود قاسم فيلسوفا يراهن على الحوار، الذي يجمع على الطاولة، جميع التيارات الفكرية: العلمانية منها،

والسلفية. وبين المذاهب الإسلامية: السنية، والشيعية والاباضية، وحتى بين الاديان المختلفة. والحوار يعنى بادئ ذي بدء، حسن القول، واحترام الآخر. لقد كان من الشروط التنظيمية التي يُلحُّ عليها مولود قاسم، في ترأسه لملتقيات الفكر الاسلامي بالجزائر، الابتعاد عن التجريح، والنقد العاطفي، والابتعاد عن استعمال الكلمات النابية، والجارحة. قال مرّة في ملتقى بجاية، وهو الملتقى الثامن ما نصه: ﴿ اذن من المفروض أنْ يتوفّر فينا قسط من الرزانة، من الموضوعية، من روح البحث، من التأني، وأيضا من حدود اللياقة مع الصراحة، فالمنبر حر مع الالتزام بالزمن فقط، وهذا للجميع، ولكن في حدود اللياقة، والصراحة، الرجاء أنْ لا نستعمل بعض الكلمات النابية، الغابية، بعض الكلمات الناشزة، بعض العبارات الجارحة، الرجاء التقيد بالموضوعية، التقيد بروح البحث، بروح العلم في اطار المناقشة، وألا نقول للأستاذ زكي نجيب محمود: ﴿ أنّ كلامكم هذا كلام المبشرين، أو كلام المستعمرين، أو شيء من هذا﴾ (مولود قاسم، 2013: 567)

يرى مولود قاسم أنّ هدف الملتقيات الفكرية، هو بناء حوار يهدف إلى البحث عن حلول لأزمة الحضارة والنهضة في العالم الاسلامي، وليس هدفه التجريح المتبادل بين التيارات، والمذاهب. كما أنّ الجمع بين الاختلافات الفكرية، والعقائدية من خلال الحوار، والمناقشة العلمية هو الذي يُؤتي ثماره من خلال الاطلاع على جميع وجهات النظر، أمّا الحوار القائم على جمع ذوي اتجاه فكري واحد، فلا

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

يمكن أنْ نُسميه أصلا بحوار فكري يقول في هذا المعنى:﴿ إذا كنا كلنا هنا في اتجاه واحد، فلماذا نجتمع؟ يقول الفرنسيين précher à des convaincus محاولة إقناع المقتنعين. فهذا من باب تحصيل الحاصل، كما يقول الأصوليون أي من باب تضيع الوقت، إذ لا جديد فيه يُستفاد...وإذا كنا كلنا في اتجاه واحد فلا داعي لهذا الجمع الكبير، نتركه لبعض المتخصصين فقط فيما بينهم﴾ (مولود قاسم، 2013: 568)

ميزة مولود قاسم، حرصه على دعوة كل مفكر، أو باحث يراه قادرا على إثراء الحوار لأنّه من خلال اختلاف المواقع المذهبية، والايديولوجية للمفكرين، تتم الاستفادة منهم على نحو يسمح بالاطلاع على ما يجري في العالم من إشكاليات فكرية، وثقافية، وسياسية. وأيضا معرفة التنوع الذي في العالم الاسلامي. يتعلّق الأمر ببناء علاقة تحاورية بين الانية والحضارة المعاصرة. وقد استدعى مولود قاسم لحضور الملتقيات: أساتذة شيوعيون، وأساتذة مسيحيون، وأساتذه شيعة، وإباضية (مولود قاسم، 2013: 569). يلح مولود قاسم على على ضرورة حضور المختلف في الفكر والثقافة من أجل﴿ الفكر الحر، ولتبادل وجهات النظر، وللتقدم بالفكر شيئا الى الامام﴾. (مولود قاسم، 2013: 569)

ولعلّ صاحب كتاب الإنية والأصالة، كان يريد استرجاع لحظات مشرقة من الحضارة الإسلامية، عندما تسامحت مع مختلف

الأفكار، والمذاهب. يعود بنا مولود قاسم إلى ذلك الواقع التاريخي، بقوله: ﴿ لم نسمع أنّ كتب ابن حزم، أو كتب الشهرستاني قد أُحرقت. لأنّهما تكلّما عن الفرق الاسلامية المنحرفة، وعن المانوية، والزرادشتية، والمزدكية، ومختلف الفرق المسيحية، ومختلف الفرق اليهودية، والمجوسية، وما أكثرنها.لأنّهم، كانوا يدركون جميعا أنّ الكلام هنا كان ضروريا من أجل العلم﴾ (مولود قاسم، 2013: 570)

ولا يمكن أنْ ندخل إلى الحضارة المعاصرة بدون حوار، وبغير التعرُّف على مختلف الأفكار، والثقافات العالمية الموجودة. فهذا التعرُّف هو الذي يعرّفنا على الكثير من الاشياء على الآخر، كما يمكن أنْ يزودنا على فهم موضوعي، وتاريخي لمجريات الأشياء، وسننها نُقيم عليه نهضتنا. فالنقاش العلمي، والحوار القائم على الاستماع الجيّد دون الدخول في تعنيفات لفظية، هو الذي يجعلنا نتعرّف على مختلف الافكار بهدوء، وإذا كنا نثق في أنفسنا، وفي مقوّمات إنيتنا، وفي أصالتنا، فلا داعي لرفض هذا الآخر المختلف. ولعلّ لحظة المأمون تمثّل بعمق: درجة الوعي الحضاري الاسلامي الواثق من نفسه في التعرف على الآخر، فهم قد أسّسوا لما يصطلح عليه بعصر الترجمة، والمسلمون في الحاضر عليهم أنْ يقوموا بهذه الترجمة لمختلف الأفكار الموجودة في العالم، ليس من أجل اعتناقها وأخذها كبديل عن هويتنا، بل كمنارة لنعرف أنفسنا والآخر. اعجاب مولود قاسم بالمأمون وبالعمل الترجمي الذي قام به، يعكسه قوله ﴿ونحن الآن أجدر بنا أنْ

نبدأ بعصر المأمون، نحن الآن في عصر الترجمة، فلا بد أنْ نترجم كل شيء، ولا بد أنْ نطلع على كل شيء لنتحرك، ولا بد أنْ نقبل النقاش، والجدال إذا كنا واثقين من أنفسنا، وإلا فنحن نحكم على أنفسنا مُقدّما بالضعف، والسلبية، والعقم. نريد شيئا من التفتق الذهني، شيئا من الانفتاح، ولكن لا نريد المروق. ونريد ايضا التقاليد، ولكن لا نريد الموت، والجمود، والخمود، والهمود، لا نريد الظلمات، لا نريد الاختناق﴾ (مولود قاسم، 2013: 573)

المرأة بوصفها مرآة للإنية: تحدّث مولود قاسم عن المرأة، منتقدا دعاة حرية المرأة بالمعنى الغربي، فهؤلاء في الحقيقة يدمّرون الاسرة من حيث لا يشعرون، ويستعيدون بوعي منهم، أو بغير وعي المشكلات الحضارية التي تتخبط فيها الحضارة الغربية. فهؤلاء هم﴾ دعاة التحلل، والانحلال، والاختلال. هذه الامراض التي جاءت كلها مع الاحتلال، يتشدّقون علينا بحرية المرأة، وحرية الرأي، والسماح بالتسكع في الطرقات، وعلى سطوح المقاهي، وأعماق الحانات باسم التطور، والتقدم، والتفتح ﴿ (مولود قاسم، 2013: 186). ولكن في المقابل، وانطلاقا من مفهوم الاصالة الحضارية، يدعو مولود قاسم إلى إعادة اكتشاف القيم الاسلامية التي كرّمت المرأة. يقول: ﴿ فالإسلام أوّل من اعطى المرأة حقوقها الكاملة التي لم تحصل على بعضها في مجتمعات أوروبا، وأمريكا إلا في العصر الحديث، ولا تزال لم تحصل بعد على بعضها. فحق العمل، ومباشرة أمورها، وأموالها بنفسها، بل والمساهمة

في النشاط الاجتماعي كالتعليم وغيره، ممّا يبقي معه الاحترام، لم يمنعه الاسلام في أيِّ عصر كان﴾ (مولود قاسم، 2013: 187)

يواصل مولود قاسم انتقاد تلك الحالة الانحلالية، والتفسخية التي تدعوا إليها بعض التيارات، ذلك أنّ هذه الدعوة لا تستورد من الغرب غير الانحلال، والتفسُّخ وبالتالي فدعوتهم لا تريد التقدم بالمجتمع، بقدر ما تريد تحطيمه، وتفكيكه من الداخل من خلل ضرب أخلاق المرأة، وبالتالي تخريب دور الاسرة في بناء مجتمع سليم. وهذا لا يعني أنّ مولود قاسم تتحكم فيه نظرة ظلامية، ورجعية عن المرأة، بل يرى في المرأة باعتبارها الأساس الذي يجب أنْ تنبني عليه نهضتنا، وبدونها لا يمكن تأسيس عمران حقيقي، يقوم على تكاتف جميع القوى المجتمعية، بل إنّ المرأة هي أساس المعادلة النهضوية القائمة بين الانية، والمعاصرة بشرط أنْ تأخذ المرأة قيمها من المرجعية الاسلامية الأصيلة. يقول مولود قاسم:﴿ قد يقال لنا: هل المرأة في نظركم هي كل الأصالة والأصالية ؟ فنقول: المرأة هي اللغة، المرأة هي الدين، المرأة هي التاريخ، المرأة هي حب الوطن، المرأة هي مربية الجيل، المرأة هي عماد الرجل، المرأة هي عماد الاسرة، المرأة هي عماد المجتمع، المرأة هي عماد الامة، المرأة هي الانسانية، هي الانية، هي الحصانة، هي الاخلاق، هي الثقافة، هي الاصالة، هي الأصالية، هي الوجود، هي البقاء﴾ (مولود قاسم، 2013: 62)

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

فالمرأة عند مولود قاسم تمثل دور الإنية أو الهوية، لأنّ فقدان التوازن الأخلاقي والروحي عند المرأة يعني: فقدان توازان الاسرة، والمجتمع، والامة، لأنّ من يحمل مقومات الانية وبذور القيم الصحيحة هي المرأة، وهي إن حادت عن طريق القيم الاسلامية، تصبح كما يقول في عبارة لا تخلو من حدّة: ﴿ المرأة هي الخراب، والمرأة هي الانحلال، والمرأة هي الاختلال، والمرأة هي الفساد، وهي الانفصام، وهي الانفصال، وهي العدم، وهي الفناء، وهي قيام الساعة﴾ (مولود قاسم، 2013: 62)

فالمعاصرة والحداثة لا تعني حرية المرأة بالمعنى الانحلالي، والتفسخي الخارج من كل قيد. وهذا ما تعاني منه المجتمعات الغربية، بسبب رواج فهم معين لحرية المرأة، بل الأصالية الحضارية تتطلب منا، أنْ نضع كل فرد في مكانه الصحيح. فمهمة المرأة الأولى هي التربية ﴿ والتربية عمادها الاساسي الأم، المرأة لا ينبغي إرهاق كاهلها أكثر ممّا تطيق، لتركز طاقتها على دورها الأوّل﴾ (مولود قاسم، 2013: 63). وهذا لا يعني أنْ تكتفي بالمكوث في البيت، بل لها أدوار يمكن أنْ تقوم بها في المجتمع حيث ﴿ لها في العمل ميادين، مع حفظ الاخلاق ودين ﴾ (مولود قاسم، 2013: 61).

خاتمة:

الإنية عند ابن سينا واضحة في بيان، وجلاء وجودها، فهي مؤكدة الوجود حتى ولو أُفْتُرِض أنّها وُجدت قبل أنْ تحل في الجسد في

مكان –فضاء خالي، فهي مع ذلك تعي وتشعر بذاتها ووجودها، ولا تحتاج إلى الجسد لكي يتم إثباتها. فالإنية هي مؤكدة الوجود، إنّها: –إنّ –بتعبير الفلاسفة القدماء، يعني لا يكفي أنّها موجودة، بل هي مؤكدة الوجود. كذلك الأمر عند مولود قاسم، الشخصية الجزائرية موجودة، فهي موجودة، وإنّ. يعني مؤكّدة وواضحة الوجود. وإذا كان ابن سينا يثبت الإنية من خلال حدس الذات لوجودها الذاتي منفصلة عن الجسد، فإنّ الإنية الجزائرية موجود منذ القديم، في أصولها الأمازيغية وانصهار تلك الأصول بما هو عربي، عن طريق المُفاعل الحضاري المتمثل في الإسلام. وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا البحث عن التنصل عن الهوية الجزائرية بمقوماتها، ومحاولة التماهي مع الثقافة والهوية المسيحية الغربية. لا يعني هذا، الإنغلاق على الذات والتقوقع حولها، بل يعني الحفاظ على كيان الإنية مع الانفتاح على العلوم الحديثة.

قائمة المراجع:

– ابن سينا، أبي علي الحسين بن عبد الله. (1988). كتاب الشفاء، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

– السيد، مصطفى. (2018، فيفري،05). الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت. حين قُتل الجميع باسم المسيح. استرجعت بتاريخ أفريل 29، 2021 من ساسة بوست. https://www.sasapost.com

– بكري. علاء الدين، (بلا تاريخ). الإنية.. استرجعت بتاريخ جوان 04. 2022 من الموسوعة العربية: http://arab-ency.com.

– صليبا، جميل، (1982)، المعجم الفلسفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني

المؤلف المراسل: مراد واحك
m.ouahek@hotmail.com

- ديكارت، رينيه، (1968) ، مقال عن المنهج، ط2. بيروت: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
- موقع المعرفة. (بلا تاريخ). استرجعت بتاريخ جوان 05. 2022 من موقع المعرفة www.marefa.org
- نايث بلقاسم، مولود قاسم، (2013)، أصالية أم انفصالية، الجزائر: دار الامة.
- نايث بلقاسم، مولود قاسم. (2013). . إنية واصالة، الجزائر: دار الامة.

الناصرية
الناصرية